

المحاضرة الثانية

النظرية الإنسانية أو الشخصية

تمهيد:

تعد النظرية الشخصية واحدة من النظريات المعاصرة في التربية وتعرف باسم النظرية الإنسانية واللاتوجيهية، وقد قامت في البداية على أفكار "كارل روجرز" في علم النفس إذ يعبر الفكر الوجودي بشكل جيد على هذا المنظور التربوي.

ثم ما فتئت النظرية الإنسانية أن اتسعت دائرة أفكارها ومبادئها على يد المحدثين في التربية وأهم هؤلاء نذكر "فوتيناس" صاحب النظرية الإنسانية المحدثه واحد من ابرز روادها، وقبل أن نقف على المبادئ التي أسسوا عليها نظرياتهم يجدر بنا بداية أن نشرح منطلقاتها ثم نعرض أهم مبادئ النظرية الشخصية وأخيرا حدود وإمكانية تطبيقها في الواقع التربوي.

1. منطلق النظرية الشخصية:

تأسست النظرية الشخصية على مرجعيات فلسفية هي البارزة في فكر "جون جاك روسو" التربوي، وهي الأفكار التي تدعو إلى تحرير الطفل من السلطة التربوية، سلطة الوالدين، سلطة المدرس، والقيود التي تفرضها المقررات والكتب المدرسية والتي تكبل حريته وتفسد طبيعته الخيرة. وقد برزت تجلياتها في الفكر التربوي "لأوليفي ريبول" وأفكار "كارل روجرز" و"فوتيناس" صاحب الإنسانية المحدثه... وغيرهم.

وقد جاءت النظرية الشخصية في التربية كرد فعل ضد التيار التقليدي في التربية والمتمركز حول تبليغ المعرفة التي تقدم في قوالب جاهزة ضمن مقررات ومضامين تربوية لا تراعي حاجات التلاميذ ورغباتهم الذاتية في التعلم، والعلاقات البيداغوجية القائمة على فرض المعرفة وكبح الرغبة التلقائية في الاستقلالية وبناء الكينونة الذاتية.

بنى أصحاب هذا الاتجاه أفكارهم على أنقاض النظرية التقليدية في التربية فقد عارضوا مركزية وسلطة المعلم ومركزية المعرفة في الفعل التربوي، مع معارضتهم للتربية التقليدية والمكانة الضيقة التي تمنحها المتعلم كذات وكينونة.

وركزوا انشغالاتهم أساسا على مفهوم الذات ومفهوم الحرية ومفهوم استقلالية الفرد، وانطلقت هذه النظرية من فكرة مفادها أن المتعلم هو المعني في أي موقف تعليمي بالتحكم في تربيته باستعمال طاقاته الداخلية لتحقيق نموذج الشخصية الإنسانية الحرة.

والسؤال الأساسي الذي إهتمت النظرية الشخصية بالإجابة عليه ، وطرحه "كارل روجرز" على النظام التعليمي الراهن هو: هل يعد النظام التعليمي الراهن الافراد لكي يصبحوا كائنات مسؤولة وقادرة على التواصل مع الغير في حضارة تنحو نحو الكونية وتحطيم الحدود العرقية ام بهدف تكوين اشخاص منطويين وغير قادرين على التواصل مع الغير.

يمكن الاجابة على السؤال في ضوء المبادئ التي استنتجتها النظرية الشخصية فبناء الثقة وتكوين الإنسان الحر وتحقيق الاندماج الايجابي كلها متطلبات اساسية في التربية لتكوين ملمح الإنسان الكوني المنفتح على الآخر المستوعب لثقافة الآخر بما يمتلكه من أدوات التواصل.

ومن هنا فإن التربية وفق النظرية الشخصية مطالبة بتحقيق نموذج الإنسان الكوني الذي يمكنه إن يستجيب للتحديات التي يفرضها العالم اليوم.

يؤكد "روجرز"- ضمن الاتجاه الشخصي- أن هذا الموصفات يمكن أن تتحقق إذا ما قام الفعل التربوي على حرية المتعلم وعلى رغباته وعلى ارادته في التعلم، وليس تكاثر المدارس الحرة والمفتحة والبديلة الذي عرفته الستينات والسبعينات من هذا القرن سوى برهانا على قوة هذا الفكر التربوي من جهة وليس اعتماد هذا التيار في صياغته مقارنة الانشغال بالتطور المتكامل للطفل سوى دليلا اخر على تلك القوة من جهة ثانية.

فالتربية -حسب الشخصية- لا بد أن تتحرر من الإكراهات التي تفرضها البرامج التعليمية والسلطة البيداغوجية حتى تمكن المتعلم من بناء الكينونة الذاتية وقدمت النظرية الشخصية البديل عن بيداغوجيا تقليدية تروم بناء الذات الفردية وهو نموذج يقوم على الحرية في العملية التعليمية ويستهدف بناء الإنسان الحر.

فقد إنبثق عن النظرية الشخصية نموذج البيداغوجيا اللاتوجيهية هي بيداغوجيا لا تلزم الفرد لا بقواعد ولا ببرامج ولا بمواد دراسية معينة فهم يضعون الثقة في الشخص وفي حاجته التلقائية والعفوية لإتمام وإكمال نفسه.

والمدرس اللاتوجيهي ينبغي إن يكون على الدوام حاضرا ومستمعا لحاجات ورغبات التلاميذ كما ينبغي عليه الاجابة عن طلباتهم بشكل ملائم ومتكيف.(غريب، 2002: 277)

إنّ فهي بيداغوجيا متحررة من إكراهات المناهج التعليمية وضوابطها ومقرراتها المفروضة على المتعلم وتسمح للمعلم بأن يتدخل كموجه ومرافق للمتعلم في تحقيق رغباته. فاللاتوجيهية تتيح للمتعلم الانخراط في التعلم بشكل يمكنه من بناء الشخصية المتكاملة في بعدها المعرفي، والوجداني، والمهاري.

فاللاتوجيهية (La Non –directivité) لا تقوم على أهداف تعليمية تصمم في ضوءها مضامين تعليمية مخطط لها مسبقا بل إن منطلقها الأساسي ذات المتعلم، فتدخل المعلم يكون بالقدر الذي يمكن التلميذ من تحقيق أهدافه والوصول إلى غاياته ورغباته وطموحاته الذاتية، وعليه فإن العلاقة البيداغوجية هي علاقة افقية تواصلية تسمح للمتعلم بالتعبير بحرية عن افكاره وآراءه وتوجهاته ورغباته...لممارسة حرية بناء الذات.

وبهذا أسست الشخصية لتربية تستهدف المتعلم وتروم بناء الكينونة الذاتية له، وهي تربية تقوم على منح الحرية للمتعلم لبناء ذاته وتحقيق أهدافه ولا ريب في أن ذلك يتأتى في ضوء علاقة بيداغوجية يكون فيها التعلم متمركزا حول المتعلم.

2. مبادئ النظرية الشخصية:

2.1- إيجابية المتعلم:

إن التعلم الإيجابي هو التعلم الذي يصبح فيه المتعلم ذا فاعلة، وتقاس الفاعلية بالانخراط في التعلم وتوظيف المكتسبات في بناء التعلّيمات وبناءها. ولا ريب في أن إيجابية المتعلم في الفعل التعليمي/التعلمي مقترن بمدى الحرية والاستقلالية الممنوحة من طرف المعلم، ولذلك يدعو أصحاب النظرية الشخصية إلى تحرير الفعل البيداغوجي من إكراهات المقررات الدراسية ومن العلاقة العمودية السلطوية لبناء شخصية الإنسان الحر.

2.2- تحويل الأستاذ المبلغ إلى أستاذ ميسر:

إن بلوغ غايات الإنسانية في النظرية الشخصية يتطلب تنظيم الوضعيات التعليمية/التعليمية والعلاقة البيداغوجية بشكل يتيح للمتعلم رسم أهدافه والتخطيط لها وانتقاء الطرق الموصلة إلى المعرفة وتقويم نواتج تعلمه ذاتيا وتصحيح مسار تعلمه وهي علاقة متمركزة حول المتعلم.

وبظهر دور المعلم في النظرية الشخصية على أنه دور تيسيري ليس فقط في الوصول إلى المعرفة بل في معرفة الذات الإنسانية والوعي بها، ومعرفة مواطن قوتها لبناء الثقة باعتبارها مقوما أساسيا لنجاح التعلم الذاتي.

يقول "روجرز" (Rogers, 1970) توصلت إلى اعتقاد مفاده أن المعارف الوحيدة التي يستطيع الفرد اكتسابها والتي يمكنها أن تحدث تأثيرا على سلوكه هي تلك المعارف التي يكتشفها بنفسه. فالمعلم الميسر يلعب دورا كبيرا في وضع ثقته التلاميذ بأنفسهم ويساعدهم في اختيار وتوضيح اهدافهم ونواياهم وتحقيق مشاريعهم.

فالبرامج التعليمية التقليدية حسب "روجرز" وطرقه الالقاءية وأساليب امتحاناته لا تسهل التعلم الخبراتي الذي يحمل وحده دلالة ومعنى بالنسبة للطالب والهدف الاسمي هو أن يصل الطالب إلى تعليم نفسه بنفسه بكل حرية.

يقدم أصحاب النظرية الشخصية التعلم الخبراتي كنموذج للتعلم الفعال من حيث أنه يؤهله إلى توظيف مهاراته وقدراته في حل مشكلات في وضعيات مختلفة. ذلك أن المعارف الملقنة والتي تلتصق بالذهن في الغالب تبقى كمعارف ميتة لا يتمكن من توظيفها في وضعيات جديدة لتحقيق الفعالية المطلوبة. فالخبرة الحية هي التي تؤهل المتعلم للانخراط في وضعيات ومواقف غير مألوفة تتطلب بيئة تعليمية ووضعيات تعليمية يؤدي فيها المعلم أدوارا فاعلة.

لكن السؤال المطروح كيف يمكن أن نؤسس لعلاقات بيداغوجية تتوخى تكوين الإنسان أو الشخص الحر؟

يرى "روجرز" أنه على المدرس أن يأخذ بعين الاعتبار تمثلات المتعلم وخبراته واحتياجاته ويعينه على اكتساب وحل المشكلات ويدفعه لتطوير تعلم ذاتي دون أن يقدم له معارف جاهزة بل يمنحه قدر الامكان الثقة في قدرته على التعلم ويعززها بمختلف الاليات البيداغوجية والديداكتيكية التي تدعم لدى المتعلم تعلمها فعالا قائما على فاعليته وخبرته الذاتية وملائما لحاجاته وتطلعاته.

فانتقال المدرس من نموذج العلاقات البيداغوجية المبنية على علاقات خطية بالمعلم وبسلطة المعرفة أو سلطة المؤسسة إلى نموذج العلاقات البيداغوجية الأفقية القائمة على الاحترام والاعتراف بشخصية المتعلمين وبنسبية المعارف والقيم مما يجعل فضاء الفصل الدراسي فضاء لحرية اصيلة وفعالية تجعل المتعلمين يعيشون حرية الاختيار وحرية التعبير وحرية الوجود.

إضافة إلى هذا، فإنه ينبغي أن يعطي المدرس التلاميذ الثقة في قدرتهم على التعلم وهو حين يركز على تسهيل التعلم أكثر من القيام بمهام التدريس التقليدي ينظم وقته ويوزع جهوده بشكل يختلف كثيرا عما يقوم به المدرس التقليدي وعوض إن يخصص وقتا طويلا جدا لتنظيم دروسه وإعدادها تراه يحاول تجميع مختلف الوسائل التي تسمح للمتعلمين بانجاز تعلم قائم على الخبرة الذاتية وملائم لحاجاتهم ويكرس كل

مجهوداته أيضا ليجعل تلك الوسائل في متناول المتعلمين وذلك بالتخطيط المحكم والمبسط لمختلف المراحل التي ينبغي عليهم قطعها لأجل استعمالهم تلك الوسائل ولا تتضمن هذه الوسائل ما عهدناه من مصادر أكاديمية فقط كتب مجالات فضاءات للعمل قاعات المختبر ومواده أدوات اشربة تسجيلات.

2.2- التعليم الخبراتي:

يعبر التعليم الخبراتي في ضوء النظرية الشخصية عن ذلك النمط من التعليم الذي يسمح للمتعلم من التعبير عن مكنوناته الداخلية سواء اكانت معرفية او وجدانية وهو التعليم الذي يخرج عن قوالب معدة للإصغاء الى طرق وأنماط متعددة محفزة على التعلم ولكي يتحقق ذلك بحسب النظرية الشخصية وجب تنظيم الفعل التعليمي في مراحل تبدأ بمرحلة خلق وضعيات الاستكشاف والرجوع الى الذات للوصول الى تمثلاته وأفكاره ومشاعره وانفعالاته وهي مرحلة تمكن المتعلم من اللولج الى ذاته بعدها يتم تبادل الطلاب فيما بينهم ... فهو تعليم من اجل معرفة الكينونة الذاتية فالتعلم لا بد إن ينطلق من الذات ولا بد للفعل التربوي إن ينتظم في ضوء حاجات ورغبات وتمثلات التلاميذ فهي تربية منطلقها الذات الانسانية وهدفها تأكيد الذات الانسانية.

يرى منظروا الشخصية انه علينا إستدراج الطالب انطلاقا من واقعه الوجداني والمعرفي ثم نمكنه من التعبير عن هذا الواقع بأساليب مختلفة الكلمة النص المسرح الرسم ولتحقيق ذلك يجب توفير عدد من التمارين ومن الممكن ان نتبع لهذا الغرض العديد من المراحل مرحلة خلق وضعيات الاستكشاف والتركيب والتواصل ثم الرجوع الى الذات وتسمح هذه الوضعيات التي تستعمل تمارين ملائمة بتحقيق الاتصال بين الفرد وذاته وهو ما يساعده في الوصول الى انطباعاته وتصو راته وأحاسيسه وأفكاره وحاجاته النفسية ورغباته فالأمر هنا يتعلق باللولج الى الذات ثم يتبادل الاشخاص فيما بينهم اكتشافاتهم المختلفة ثم يتم وضع خلاصة وفي الاخير ختم العملية بالرجوع إلى الذات بهدف القيام بحوصلة لما تم تعلمه

لم تتوقف مبادئ وأفكار الشخصية عند "روجزر" ولقد ذهب "فوتيناس" صاحب النظرية الانسانية المحدثه إلى اقتراح بناء الشخصية الحرة بالاهتمام بالبرامج التكوينية التي تستهدف تنمية شخصية الإنسان الحر. فقد رأى أن تكوين الشخصية المستقلة يرتبط بالبرامج التكوينية التي لا بد إن تستهدف تطوير الذات الانسانية.

اقترح "فوتيناس" (Torossian, Fotinas) اعطاء وجهة اخرى للبرامج التكوينية تستهدف تطور الشخص ومميزاته الخاصة يستهدف الدرس عنده تكوين افرادا قادرين على التدخل بفعالية في الوسط التربوي.

خلق وضعيات التعلم المتمركزة حول الشخص بدلا من التعلم المتمركز حول محتويات البرامج وطرائق تنفيذها وتظل اهداف مثل هذه الوضعيات مفتوحة على اعتبار إن المنهجية الديداكتيكية تترك للتلاميذ حرية تحديد اهدافهم ومعايير تقويم انفسهم وبالتالي فان البرنامج التكويني يتم بناؤه مع مرور الوقت وبالتركيز على الحاجات المرغوب تحقيقها.

إذن فالبرامج التكوينية لا تعد سلفا من اجل تحقيق اهداف خطط لها مهندسوا التربية والمناهج التعليمية بل يتم البناء والتخطيط لها انطلاقا من حاجات التلاميذ الذاتية والوعي بما يرغبون في تحقيقه .

والسؤال الذي يطرح كيف نبني البرامج التعليمية انطلاقا من حاجات الطلاب؟

يرى "فوتيناس" (Fotinas) إن ذلك يعتمد على مجموعة من الإستراتيجيات لتحقيق ذلك:

- مرحلة الممارسة الصفية وتعتمد على التفكير والاستكشاف للقيم الدوافع والحاجات الشخصية.
 - مرحلة بناء الموقف التعليمي وتتعلق من طرح مشكلات.
 - مرحلة التوعية بالممارسة وتتضمن الدراسة والتحليل وإيضاح الموقف المشكل.
 - اختيار المشكلة.
 - الممارسة الواعية وتتضمن البحث عن المعلومات وتوضح الاهداف التعليمية وصياغتها في عبارات تشير إلى ممارسات ينبغي اكتسابها.
 - مشاهدة افلام بحثية او التعرف على بحوث نظرية.
 - الممارسة الواعية وتتضمن المهارات التي تم اكتسابها.
 - تقويم المكتسبات والقيم المعاشة والمواقف المبتكرة.
- إذن البيئة التعليمية التي يمكن أن تحقق أهداف النظرية الشخصية هي بيئة مشجعة على التعلم الذاتي وليست مهياة للإصغاء والتلقي السلبي فهي تعتمد على جهد المتعلم الذاتي في التفكير والوعي بالتفكير وبطرقه الموصلة في النهاية إلى أهدافه التي هي مكتسبات وخبرات مبدعة ومبتكرة.

انتقادات وجهت للنظرية الشخصانية

ورغم ما قدمته النظرية الشخصانية من اسهامات خاصة في التأسيس لبيداغوجيا لاتوجيهية تنطلق من ذات المتعلم وتنفذ من خلالها لبناء كينونته الذاتية إلا أن مبدأها العام لا يتلاءم مع ضرورات التعلم الحالي القائم وما يفرضه ضمن برامجه من غايات فلسفية تروم التربية بلوغها ومن مبادئ وتوجهات تربوية تفرضها السياسة التعليمية.

فأكثر المعوقات التي يطرحها مبدأ تعميم التعليم الذاتي ما يقتضيه التعليم حاليا من **تعميم المعرفة على قطاعات عريضة من المتعلمين** فاللاتوجيهية تتطلب الاشتغال مع مجموعات صغرى تشكل حالات خاصة ومنفردة في التعليم أما التعليم العمومي فهو مطالب بتحقيق أهداف التعليم العامة وأمام تزايد عدد التلاميذ أصبح الاهتمام منصبا على الاهتمام بتقنيات التدريس والتكوين والتقويم ورغم رفض انصار النظرية اللاتوجيهية جعل المعرفة الموضوع الاساسي للتعلم المدرسي فإنهم لم يستطيعوا تخليص المدرس من كل علاقة ممكنة بالمعرفة.

علاوة على ذلك **فالعلاقة السلطوية في وضعيات معينة تصبح ضرورية للحفاظ على معرفة معينة تقتضيها الضرورة البيداغوجية**. فانخراط المتعلم في علاقة بيداغوجية يكون احد اطرافها المعلم كمرافقا للمتعلم وميسرا للتعلم وموجها له فهذا البديل اكبر دليل على دور المعلم وسلطته في التعلم.

خاتمة:

إن ما يمكن قوله في الاخير إن ما ترنو اليه البيداغوجيات الحديثة عموما يضعها أمام رهان تحقيق المواءمة بين الحاجات الفردية للمتعلم كبناء الذات وتأكيدا والامتثال لرغباتها واحتياجاتها والغايات الاجتماعية التي تفرضها الضرورة الاجتماعية كالتربية على ثقافة المجتمع والمحافظة على التراث والقيم الاجتماعية وتحقيق التوافق بين الكونية والخصوصية في بناء الإنسان الذي تفرضه العولمة في عالم اليوم.